

حديث القرآن عن اليوم الآخر

الخطبة الأولى

الحمد لله المنان ، منّ علينا بإدراك شهر رمضان ، الذي أنزل في القرآن

أحمده على سابع فضله والإحسان وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث للإنس والجان صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الآل والصحب والإخوان ومن تبعهم بإحسان .

أما بعد أيها الإخوان :

ما التكاليف الشرعية إلا لتحقيق العبودية وتقوى الله - سبحانه - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183].

فاتقوا الله ربكم ، واغنموا شهركم .

فإن إدراك هذا الشهر نعمة سابعة، ومئة بالغة؛ فتقربوا إلى الله ما استطعتم، وأبشروا وأملوا.

أيها الصائمون :

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: 185] نزل القرآن في شهر رمضان، فكان مطلع الصبح الصادق في ليل البشرية الغاسق، ومن سنأ القرآن وجذوته تنبذ الظلم، وبالتماس الأمة هديها من هداها، وريها من رؤها، يجمع الله لها شعث أمرها، ويبدد حالك ليلها.

وحقيق بالأمّة أن تعود إلى هذا القرآن في كل حين، فتنهل منه نهل الظالمين، لا عودة إلى تلاوته فحسب، بل إلى تأمل معانيه، وتدبر آياته، وبت حقايقه في حياة الناس .

فيامن طابت ألسنتكم بالقرآن وتعطرت أسماعكم بأبي الفرقان ألم تجدوا فيه حديثاً واسعاً مستفيضاً عن قضية الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور ألم تروا كيف أبدى القرآن فيها وأعاد، وضرب الأمثال وأجاد، ذلكم أن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.

ألم تقرؤا قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: 177].

ألم تتصوروا لحظات البعث بعد الموت، وبدابات الحياة بعد الفناء، وأحوال يوم المطلع ، مشهد طالما أفض قلب المؤمن، وأطال السهاد في أعين المتعبدين، وانخلعت له أفئدة المؤمنين .

كيف وجدتم عظم ذلك اليوم ؟

يوم ينفخ إسرائيل - عليه السلام - في الصور نفخة البعث والنشور، فتعد الأرواح إلى الأجساد، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُسَلُّونَ﴾ [يس: 51].

وتنشق القبور عن أهلها، ويخرج الناس أجمعون من لئذ آدم - عليه السلام - إلى أن تقوم الساعة، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: 99]، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخْضَرُونَ﴾ [يس: 53].

هل تصورت ذلك الفرع العظيم، وخروج الناس كلهم من قبورهم، وقيامهم لله رب العالمين، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصفوات: 19].

يُحْشِرُ النَّاسَ خُفَاءَ عُرَاءَ عُرْلًا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: 104].

قالت عائشة - رضي الله عنها - : يا رسول الله! الرجال والنساء ينظرون بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشد من أن يُهمهم ذلك».

يخرج الناس من قبورهم يموج بعضهم في بعض، يذهبون ويجيبون، لا يدرون إلى أين يمشون، في خيرة وتفرق واضطراب، وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً)

هل تصورت حال الناس في ذلك الموقف وأنتم تقرؤون قوله سبحانه ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ﴾ [القارعة: 4]، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَصِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: 7، 8]، ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 52].

يَقَالُ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108]، ﴿وَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: 101]، ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 34-37]، ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: 16].

يُنَادِي الْجَبَّارُ - جَلَّ جَلَالُهُ -: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟﴾! ثم يُجِيبُ نَفْسَهُ: ﴿اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (16) الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: 16، 17].

ألم يستوقفكم قول الحق سبحانه ﴿يَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام: 73].

يُبعَثُ رَجُلٌ مِنْ قَبْرِهِ مُلَبِّيًا: "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ"؛ لأنه مات مُحْرَمًا، وَيُبعَثُ رَجُلٌ يَتَعَبُ جُرْحُهُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ، وَخُلُوفُ فَمِ الصَّامِتِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ رِيحِ الْمَسْكِ .

يُسَاقُ النَّاسُ إِلَى أَرْضِ الْمُحَشَّرِ، وَهِيَ أَرْضٌ بِيضَاءُ نَقِيَّةٌ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (105) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (106) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: 105-107].

يُحَشَّرُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى الْعَرَصَاتِ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا﴾ [مریم: 85]، وَيُحَشَّرُ الْمُجْرِمُونَ يَوْمَئِذٍ رُزْقًا، وَاجْفَاءً قُلُوبُهُمْ، خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ، شَاخِصَةً لَا تَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ، وَيُحَشَّرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ.

قال رجلٌ: يا نبي الله! كيف يُحَشَّرُ الْكَافِرُ عَلَى وَجْهِهِ؟ قال: «أليس الذي أمشاهُ على رجلين في الدنيا قادرًا على أن يُمشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!»،

قال: بلى وعزة ربنا ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُثْمًا وَبُكْمًا وَصَمًا مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

وَيُحَشَّرُ الْمُتَكَبِّرُونَ كَأَمْثَالِ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ.

وَيُحَشَّرُ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا حَتَّى الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5]، ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: 49، 50]، ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: 103]، ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

وَإِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ، يُقَالُ: «هَذِهِ عَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ».

وَيَأْتِي كُلُّ امْرِئٍ بِمَا عَلَّ يَحْمَلُهُ عَلَى ظَهْرِهِ؛ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فَضَّةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؛ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا أَلْفِينٌ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اغْنَيْتِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَعْتُكَ».

﴿وَأَشْرَفَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ فَأَصْأَتِ حِينَ يَتَجَلَّى الْحَقُّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِلْخَلَائِقِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كِتَابُ الْأَعْمَالِ، ﴿وُجِيَءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ بِشَهَادَتِهِمْ عَلَى الْأُمَّمِ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، ﴿وَالشَّهَادَةُ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْحَفِظَةِ عَلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، ﴿وَوُضِعَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69].

ألم يقرع أسمعكم قوله جل جلاله -: ﴿وَنُضِعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

قلله! ما أعظم ذلك الموقف! ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: 4]، يَطُولُ عَلَى النَّاسِ الْوُفُوفُ، وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ، وَيعْرِفُونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، وَأَنَاسٌ فِي ظِلِّ عَرْشِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِالشَّفَاعَةِ لِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَيُنْبِئُهُ الْمَقَامَ الْمُحْمُودِ.

فصلى الله على محمدٍ في الأولين، وفي الآخرين.

فيا لله عليكم- أيها المؤمنون كيف كان أثر هذه الآية عليكم: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: 75].

يُحْكُمُ اللهُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرِينَ، وَيَنْطِقُ الْكَوْنُ أَجْمَعُهُ، نَاطِقُهُ وَيَهْيِئُهُ اللهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالْحَمْدِ فِي حُكْمِهِ وَعَدْلِهِ، فَكُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ شَهِدَتْ لَهُ بِالْحَمْدِ.

قال قتادة: "افْتَتَحَ الْخَلْقَ بِالْحَمْدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: 1]، وَاخْتَتَمَ الْحَمْدَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾".

ألم تطمعو في تأمين الله لكم يوم يفزع الخلائق حين تلوتم قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (101) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَتَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (102) لَا يَحْرُغُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: 101-103].

اللهم اجعلنا يومَ الفَرَعِ مِنَ الْأَمِينِينَ، وَلِحَوْضِ نَبِيِّكَ مِنَ الْوَارِدِينَ، وَمَمَّنْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِالْيَمِينِ، وَارزُقنا الفردوسَ الأعلى من الجنة يا أرحم الراحمين.

بَارِكْ اللهُ لِي وَلِكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَنَفَعْنَا بِمَا فِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ وَالْحِكْمَةِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ تَعَالَى لِي وَلِكُمْ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد .. : أيها الصائمون

اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَبَادِرُوا بِالسَّعْيِ إِلَى مَرْضَاتِهِ، وَأَيِّقِظُوا الْقُلُوبَ مِنْ غَفَلَاتِهَا، وَأرْشِدُوا النُّفُوسَ فِي شَهَوَاتِهَا.

يا معشر القراء :

من قرأ القرآن بتدبير وتمعن أدرك أن الإيمان باليوم الآخر كفيلاً بتصحيح مسار الحياة، ومعين على بعث الجوارح إلى الطاعة، وكف النفس عن المعاصي .

ألم تقرؤا قوله سبحانه:- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: 18]، وقوله - تعالى -: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 45، 46]، وخطابه اللطيف لنبيه الكريم: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85]، أولم تعجبوا من التذكير بيوم المعاد في قضية الطلاق: ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَضْهَرُ﴾ [البقرة: 232].

أيها الكرام : قرأت قوله سبحانه(إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون)

فماذا خرجتم ؟

ألم يتبين لكم أن الإيمان بيوم المعاد يصون العبد عن التخبط في أودية الضلال والعمه ، ويحمل المرء على التزود لذلك اليوم ، والحذر من ظلم العباد ،

أيها الصائم وأنت ترى إصغاء كثير من الناس للشبهات ، ولهتهم وراء الشهوات ألم تجد فيما قرأت من كلام ربك ما يثبت قلبك ويسلي نفسك ويبعث الطمأنينة في صدرك من نحو قوله سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: 112]، لعلك أدركت أن من أيقن باليوم الآخر، و بما بعد الموت، تفشعت عنه الشبهات، وكرهت نفسه المحرم من الشهوات .

فالإيمان باليوم الآخر يُزيلُ الشُّبُهَةَ الْوَارِدَةَ عَلَى الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ، وَضَعْفُ الْإِيمَانِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ يُنْبِتُ فِي الْقَلْبِ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ،

فاتقوا الله - معشر الصائمين ، وحركوا قلوبكم بكلام رب العالمين ، ففوا عند عجائبه ، وأشعروا أنفسكم بخطاب ربكم فلا شيء أُنْفَعُ لَنَا مِنْ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَإِطَالَةِ النَّظَرِ فِي مَعَانِيهِ ؛ فَإِنَّهُ يَطْلَعُ الْمَرْءَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحِذَائِهَا .

اللهم اجعلنا ممَّنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ أَعْظَمَ الْإِيمَانِ، وَيُوقِنُ بِهَا حَقَّ الْيَقِينِ، وَاجْعَلْنَا عِنْدَ الْفَرَعِ مِنَ الْأَمِينِينَ، وَإِلَى جَنَّتِكَ سَابِقِينَ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَهَدِيًّا لِّلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.